سماحة الشيخ عبدالجليل البن سعد : كيف والى الشيعة عليا ؟

والبعض يظنها شفيرة نفسية وتفاعلات روحية مع الاحزان و هي كثيرة والافراح وهي لا تكاد تذكر في تاريخ الإمامة الذي امتد في الهواء الطلق لأكثر من مائتين وخمسين عاما.

ولا ترى إلا القليل ممن ينصف هذه الطائفة الإسلامية الكبيرة ويعترف بأن المسألة ليست شفيرة ولا أحجية ولا عقدة ولا مشكلة ..

إنما هي نصوص و كلمات وأحاديث نبعت من قلب رسول ا وسالت على لسانه المبارك و طمّت وعمّت الخافقين!!

1 - " خلقت أنا وعلي من نور واحد ".

2 - " علي قسيم الجنة والنار".

3 - " أقضاكم علي ".

4 - " علي وارثي ومنفذ وصيتي".

5 - "علي مع القرآن والقرآن مع علي ".

6 - " علي يدور مع الحق حيثما دار".

7 - " أنا مدينة العلم وعلي بابها ".

8- " أنت مني بمنزلة هارون من موسى ".

9 - " علي مني وأنا من علي".

10 - و المعني بقوله " لأعطين الراية غدا رجلا يحب ا ورسوله ويحبه ا ورسوله".

11 - و المهدوف إليه بقوله" اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير فجاء علي فأكل معه" ووو إلى ما لا نهاية .

الحيرة المصطنعة:

ولكن من يتعامى عن هذا المحصول الضخم في سلة التراث الصحيح والمتفق عليه لدى المعظم يتظاهر بالحيرة أو قد يكون غلبت عليه بشكل لا إرادي تجاه هذه العقيدة الشيعية الصماء في علي عليه السلام..

هل هي قضية العناوين المقدسة؟؟

يفهم من كلام البعض أن عنوانَ الخلافة وعنوان الشهادة عنوانان أثرا على الشيعة بحكم قداستهما..

أما الخلافة: فمن حيث أصر الشيعة على جعلها في علي وبنيه عليهم السلام، وطبعا لم يقل المتحدث هذا ليعترف للشيعة، ولكن ليقوم بمقارنة يبني عليها نتيجته فهو يقول:

" تنازع الحكم كثيرون من طلاب الخلافة كسعد بن عبادة ثم طلحة والزبير ثم عبد ا بن الزبير ولم تكن لأحدهم فرقة، ولا تكونت لهم شيعة يدينون بولائهم ؟!"[1].

عزيزي المؤمن ..

ليس هذا المتحدث المحترم من قبيل الرجل الذي ليس لديه جهاز ذكي يشاهد الحقائق من خلاله فنتصدق عليه بجهاز مثلا .. ولا هو من قبيل القارئ الذي لا كتاب لديه فنمنحه كتابا .. كلا !

إن هذا من قبيل من لديه جهاز مفتوح على البث المباشر، ولكنه ينظر فيه بالمقلوب!! أو قل من قبيل الذي يمسك بصفحة الكتاب بالمقلوب فكل ما علينا أن نعيد الجهاز والكتاب الذي بيده إلى وضعه الصحيح والطريقة المثلى في الإمساك به ليتسنى له النظر بطريقة صحيحة لا تخطئ معها العين اللفظ والمعنى !!

أتريد أن تعرف كيف كان الجهاز في يده مقلوبا وكيف كانت الصحيفة منكوسة ؟؟

إنه يقول كل هؤلاء طلبوا الخلافة ولم تتكون بعدهم فرق ولا شيعة ..

نقول يا سيدي اقلب الصفحة لترى:

أن عليا لم يطلب الخلافة ولكن الخلافة طلبته !!

وأن من طلب الخلافة فقتل دون أن يحصل عليها تـــَركَته الشيعة بنفس المنطلق الذي به عظمت عليا وهو أن الخلافة حق إلهي فمن طلبها أو تقمصها كان كمن أخذ حق غيره ! في الكلمة عن علي عليه السلام: "" لا يعاب أحد على ترك حقه إنما المعيب من يطلب ما ليس له"".

وأما الشهادة: فالكاتب المتحير غرق في المقارنة بين استشهاد "الحمزة" و "جعفر"، واستشهاد علي عليه السلام، فأطلق سؤاله: أي فرق بينهما وبين علي والنسبة إلى بني هاشم واحدة؟؟

بل ويغمز في تفكير الشيعة ـــــ التي بنت تقديس علي على أسس منها شهادته بحسب تحليله ـــ عندما حاول ان يجعل الفرق في صالحهما على علي عليه السلام فقال: إن استشهادهما في سبيل الإسلام لا في سبيل نظام الحكم وهو أدعى أن يجدا فيه من موالاة المسلمين لهما أسمى مما لقى علي من موالاة الشيعة إياه!![2]

ونحن نرد عليه ياهذا..

هل ترى أن جهاد الحمزة وجعفر جزءٌ من عبادة أم كل العبادة ؟

هل ترى أن الحمزة و جعفر جزء من من من بعضٍ من الثقلين أم هما كلُ الثقلين ؟

عندما نظن في الباحث المحترم ما نظن في كل عاقل فإننا نصل إلى الجواب نيابة عنه وهو أن الجزئية البسيطة هي حظ جهادهما من العبادة و أن البعضية الدقيقة هي نسبة وجودهما إلى وجود الثقلين..

بعدها نقول لحضرته تعالى لتأخذ جوابك من رسول ا صلى ا عليه واله: "" لضربة علي يومَ الخندق

تعدل عبادة الثقلين"".!!!!

إذن فالحمزة وجعفر وجهادهما وشهادتهما قطرة في بحر ضربة علي يوم الخندق فـ{ ما لكم كيف تحكمون} ؟؟

هل هي من الموالاة للمبادئ؟

ثم حاول أن يقرر اعتماد الشيعة في إقامة هذا الولاء الحاد على المبادئ السياسية العلوية فقال: لعل الاختلاف الجوهري بين حكم علي وحكم غيره أنشأ هذه العواطف الولائية مع علي عليه السلام لأن غالبية الناس من المحرومين هكذا يرى البعض ؟

فإن المبادئ السياسية بالنسبة لمن سبق عليا عليه السلام قامت على حسابات خاصة فمثلا كانت الألوية والولاية على المناطق في عهد أبي بكر عمر بيد أمثال عكرمة بن ابي جهل وخالد بن سعيد بن العاص ويزيد بن أبي سفيان وأخيه معاوية وعمرو بن العاص.. مع إبعاد بني هاشم والسابقين من المهاجرين والأنصار، ومن وُليَ منهم كسعد بن أبي وقاص وعمار قد عزلا!![3]

وفعلا قد حار المقريزي ـــ كتاب التخاصم بين بني أمية وبني هاشم ـــ في ذلك فأوله بما أوله قائلا:

"" إنهم لم يجعلوا بني هاشم عمالا لشرفهم إذ الشريف لا يشارف وإنما يبقى ليشاور في الأمور المعضلة""!!

وبرأينا ليست المشكلة في أن تولي أحدا من هؤلاء لأن المصلحة تقتضي أن تسوي بين كل ما أسلم وإلا لرأى الأكثر انك تتهمه في إسلامه وبذلك تكون الفتنة، ومن هنا قد ولى رسول ا صلى ا عليه واله أربعة من بني أمية ـــ إن صحت النسبة التاريخية ـــ ولى أبان بن سعيد بن العاص على البحرين، وخالد بن سيعد على صنعاء، و أبو سفيان على نجران..

ولكن كان قد وضع الرقباء وبث الأرصاد في الأرض كما صنع علي عليه السلام الذي كان يفاجئ زياد بن أبيه بالرسائل المتوعدة، كما فاجأ المنذر بن الجارود بالعزل لما خاب ظنه فيه!

إذن ليست هذه المشكلة إنما المشكلة في أمرين أضاعهما فكر المعاصر المبدع:

الأمر الأول: أن تقبض أيدي ذوي السابقة والأميز من أبناء الأمة والأصلح في هذا الطريق فلا تولي أحدا منهم!!

الأمر الثاني: في أن لا تضع الرقيب عليهم وتكتفي مع المنفتح على الدنيا منهم بقول لين لا توعد فيه ولا تهديد ولا عزل ..

من قبيل:" أكسروية يا معاوية "!!

مبلغ استنكار الخليفة عندما استقبله معاوية في بروتكول عسكري تقليدا للحكام السابقين بالشام وغيرها.

فصار في واجهة الإسلام من لم يــُـقبـِل عليه بالتحرر من الدنيا على نحو ما كان الأوائل، حتى تمادوا وشيئا فشيئا أثروا على بعض ذوي السابقة، فجاء الواقع كما رسمه طه حسين: " المال الذي جبي من الأقطار أيقظ منافع كانت نائمة، و نبه مآرب كانت غافلة، ولفت إليه نفوسا كانت لا تفكر إلا في الدين.."[4].

وهنا بعض الأرقام الفلكية التي تطمع الباحث في التخلي عن القراءة الرسمية لتلك المرحلة واستئناف قراءة جديدة حرة ومنها :

1 - بلغت سعة دار عبد الرحمن بن عوف أن كان على مربطه مائة فرس و 1000 بعير، وكان لديه 10000 من الغنم.

2 - كان زيد بن ثابت قد مات عن ثروة من الذهب والفضة تكسر بالفؤوس !

3 - أصبح للزبير بن العوام دورا ضخمة بالبصرة والكوفة والإسكندرية وبلغت أمواله 50000 دينار، و 1000 فرس و 1000 عبد و 1000 أمة وله خطط أخرى في الأمصار..[5]

فعندما جاءت الخلافةُ عليا عليه السلام أزال معظم هؤلاء وابقى البعض الآخر تحت الرقابة والارصاد وولى

بني هاشم و الصحابة السابقين الذين عزلوا طيلة تلك الفترة ولم يكتفي بهذا بل إنه طالب برد الأموال أين ما كانت حتى أمر بما في بيت عثمان من نجائب وإبل الصدقة وأرجعها إلى بيت المال !

وقد لا حظ الدارسون للتاريخ أن أول من نزع يده من بيعة علي هم أصحاب الأموال والثروات وقد بعثت بنو أمية مفوضا عنها وهو الوليد بن عقبة بن ابي معيط يطالبه بن يضع عن بني أمية ما أصابوا من المال أيام عثمان .. ولكنه رفض !

وفسارت مبادئ علي السياسية سير الركبان، كما أسس للعدل في الحياة الاجتماعية والفردية فقد جاءته امرأتان تسألانه إحداهما من العرب والأخرى من الموالي فدفع إليهما دراهم وطعاما بالسواء فقالت إحداهما إني امرأة من العرب وهذه أعجمية فقال إني لا أرى لبني إسماعيل في هذا الفيء فضلا على بني إسحاق !

قد يظن البعض ان عليا كان شديدا ولو أبدى من ليونته لتغلب على الناس ولكن ها هو طه حسين مرة أخرى يقول : "" لو أقر سياسة من قبله لخسر من أحبه ولم يربح من أبغضه""!

وبالنهاية فإن عليا لم يدبر لحرب وقتال ميداني وإنما حارب نشآت شعوبية، وارستقراطية، واتوقراطية، وطبقية و كان أن تترجمت هذه الحروبه الاجتماعية إلى سيف ودم على أرض صفين والجمل ..

فعلي عليه السلام كما يقول جبران خليل جبران: " مات شهيد عظمته... شأن جميع الأنبياء الباصرين، الذين يأتون على بلد ليس بلدهم، وإلى قوم ليسوا بقومهم، في زمن ليس بزمنهم"[6].